والتعريف في (الأسباب) لعهد الجنس لأن المعروف أن لكل محل مرتفع أسبابا يصعد بها إليه كقول زهير : .

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... وإن يرق أسباب السماء بسلم وقول الأعشى : .

فلو كنت في حب ثمانين قامة ... ورقيت أسباب السماء بسلم والسبب : الحبل الذي يتعلق به الصاعد إلى النخلة للجذاذ فإن جعل من حبلين ووصل بين الحبلين بحبال معترضة مشدودة أو بأعواد بين الحبلين مضفور عليها جنبتا الحبلين فهو السلم .

وحرف الظرفية استعارة تبعية للتمكن من الأسباب حتى كأنها ظروف محيطة بالمرتقين .

(جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب [11]) يجوز أن يكون استئنافا يتصل بقوله (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) الآية أريد به وصل الكلام السابق فإنه تقدم قوله (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) وتلاه قوله (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) الآية . فلما تقضى الكلام على تفصيل ما للذين كفروا من عزة وشقاق وما لذلك من الآثار ثني العنان إلى تفصيل ما أهلك من القرون أمثالهم من قبلهم في الكفر ليفضي به إلى قوله (كذبت قبلهم قوم نوح) إلى قوله (فحق عقاب) .

فتكون جملة (كذبت قبلهم قوم نوح) بدلا من جملة (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) بدل بعض من كل .

ويجوز أن يكون استئنافا ابتدائيا مستقلا خارجا مخرج البشارة للنبي A بان هؤلاء جند من الأحزاب مهزوم أي مقدر انهزامه في القريب وهذه البشارة معجزة من الإخبار بالغيب ختم بها وصف أحوالهم . قال قتادة : وعد ا أنه سيهزمهم وهم بمكة فجاء تأويلها يوم بدر . وقال الفخر . إشارة إلى فتح مكة . وقال بعض المفسرين : إشارة إلى نصر يوم الخندق .

والرمز مرموزة تكون أن مغيب بأمر النذارة أو البشارة مجرى الجارية الأخبار وعادة A E في هذه البشارة هو اسم الإشارة من قوله (هنالك) فإنه ليس في الكلام ما يصلح لأن يشار إليه بدون تأول فلنجعله إشارة إلى مكان أطلع ا عليه نبيه A وهو مكان بدر .

ويجوز أن يكون لفظ (الأحزاب) في هذه الآية إشارة خفية إلى انهزام الأحزاب أيام الخندق فإنها عرفت بغزوة الأحزاب . وسماهم ا (الأحزاب) في السورة التي نزلت فيهم فتكون تلك التسمية إلهامها كما ألهم ا المسلمين فسموا حجة النبي A حجة الوداع وهو يومئذ بينهم سليم المزاج وهذا في عداد المعجزات الخفية التي جمعنا طائفة منها في كتاب خاص . ولعل اختيار اسم الإشارة البعيد رمز إلى أن هذا الانهزام سيكون في مكان بعيد غير مكة فلا تكون

الآية مشيرة إلى فتح مكة لأن ذلك الفتح لم يقع فيه عذاب للمكذبين بل عفا ا عنهم وكانوا الطلقاء .

وهذه الإشارة قد علمها النبي A وهي الأسرار التي بينه وبين ربه حتى كان المستقبل تأويلها كما علم يعقوب سر رؤيا ابنه يوسف فقال له (لا تقصص رؤياك على إخوتك) . ولم يعلم يوسف تأويلها إلا يوم قال (يا أبت هذا تأويل رؤياك من قبل قد جعلها ربي حقا) يشير إلى سجود أبويه له .

وإما ظاهر الآية الذي تلقاه الناس يوم نزولها فهو أن الجند هم كفار أهل مكة وأن التنوين فيه للنوعية أي ما هم إلا جند من الجنود الذين كذبوا فأهلكوا وأن الإشارة ب (هنالك) إلى مكان اعتباري وهو ما هم فيه من الرفعة الدنيوية العرفية وأن الانهزام مستعار لإضعاف شوكهم وعلى التفسير الظاهر والموؤل لا تعدو الآية أن تكون تسلية للرسول A وتثبيتا له وبشارة بأن دينه سيظهر عليهم .

والجند : الجماعة الكثيرة قال تعالى (هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود) .

و (ما) حرف زائد يؤكد معنى ما قبله فهي توكيد لما دل عليه (جند) بمعناه وتنكيره للتعظيم أي جند عظيم لأن التنوين وإن دل على التعظيم فليس نصا فصار بالتوكيد نصا . وقد تقدم الكلام عليها عند قوله تعالى (إن ا لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) في سورة البقر فإن كانت الآية مشيرة إلى يوم بدر فتعظيم (جند) لأن رجاله عظماء قريش مثل أبي جهل وأمية بن خلف وإن كانت مشيرة إلى يوم الأحزاب فتعظيم (جند) لكثرة رجاله من قبائل العرب